رياح التغيير في الوطن العربي ومواقع التأثير الامريكي

الاستاذ المساعد الدكتور

حميد حمد السعدون(*)

المقدمة :

بعد ان هيمنت انظمة الاستبداد على عموم الحياة في الوطن العربي، من خلال النزعات السلطوية التي اعتمدتها تبعاً للأشكال المتعددة للانقلابات التي اتاحت لها الهيمنة والتحكم، ومن ثم مكنتها من استخدام العنف بذرائع الأمن الوطني والقومي على الناس التي ناهضتها، فضلاً عن ضمور الحراك السياسي والاجتماعي للمجتمع، وقصورها عن التعبير عن وقائع الحياة التي هندست اوضاعها هذه الانظمة، وبطريقة التمترس والتخندق، فقد بات الأمر، جراء ذلك ان آفاق التحديث أو الاصلاح أو التغيير تصطدم بالقدرة المادية العنيفة التي تمتلكها هذه الانظمة، ضد كل من يلح او يتفاعل مع هذه الدعوات. بل ان الأمر بات في اكثر الأحيان، من خلال اللغة السياسية والإعلامية لهذه الانظمة، اتهام كل الداعين للإصلاح والتحديث، بالخيانة كونهم ينفذون اجندة خارجية، غايتها احراج او حصار وإسقاط هذه الانظمة "الوطنية".

وهذا البحث، محاولة اجتهادية في التبصر بمسببات هذا الحراك الاجتماعي الكبير، مع تبيان اوجه القدرة التأثيرية التي تحققها الولايات المتحدة الامريكية في مسارات هذا الحراك، كونها القوة المهيمنة على المسرح السياسي في الوقت الحاضر. ولذلك سنقسم البحث وفقا للمحاور الآتية:

- المحور الاول: الاستبداد السلطوي
- المحور الثاني: التعامل الامريكي مع الاحداث
- المحور الثالث: طبيعة النظام السياسي العربي

(*)مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

- المحور الرابع: مغذيات النجاح

اولا: الاستبداد السلطوي:

لقد استشرى مشروع "المؤامرة" في عموم عقل الجهاز القيادي للأنظمة العربية، بل أنه صار لازمة اكثر من ضرورية لاستمرار تلك الانظمة في التحكم والتسلط، جراء زعمها انها تتعرض لجملة من المؤامرات والدسائس الدولية. كون ذلك الادعاء شهادة حسن سلوك على "وطنية" هذه الانظمة أمام شعبها، وبما يكرس خطابها السياسي الذي يتحدث عن ذلك الموضوع بشكل مبالغ فيه. والغريب أن هذه الانظمة، وهي تتحدث عن مشروع " المؤامرة " الذي تتعرض له اتكأت على أحداث تاريخية سابقة، مرت بها بعض انظمة بلدان العالم الثالث، وهي ادعاءات كانت في الاغلب صحيحة، لكن فاتها، ان التاريخ، مع كل ما يصح فيه، ليس "مؤامرة" فقط، وان كانت جزءاً من الأحداث العامة في عموم انشطة العمل السياسي.

ويمكننا القول، ان الوطن العربي بأكمله، وكذلك عموم بلدان العالم الثالث، بعيدة جداً عن نظام الدولة، لافتقارها الى اعتماد رأي الشعب وقبوله، وهو الاساس في قيام الدولة من خلال عقد اجتماعي واضح المعالم. فهذه الانظمة جاءت وتسلطت، اما بانقلابات عسكرية او بشكل وراثي او بانتخابات مزيفة تستكمل بها أطر المشهد السياسي. والأكيد انه يوجد على هذه المساحة الجغرافية الكبيرة، ما يمكن ان نسمّيه "حكومة، سلطة، نظام، ادارة،... الخ" لكنها بالتأكيد لا تملك ملامح الدولة، خاصة وان الجميع يخلط متعمداً بين معنى وفكر الدولة ومعنى السلطة، وبطقوس سلطانية مفخمة، مما يدفع الماسكين بالسلطة ازاء هيلمانها وإغراءاتها، الى الاستقتال ضد كل من يجرؤ على الاقتراب منها، أو محاولة التغيير على الارض، معبرين في ذلك عن مدى تعلق وتمسك هذه الزعامات، بما تحقق لهم من سلطة مطلقة، تكاد ان تستنسخ بشكل متطابق نظرية الحق الالهي، التي غادرها الوعي الانساني الحر منذ الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩.

لقد افتقر وطننا العربي وتجاربه السياسية، ومنذ منتصف ستينيات القرن الماضي، الى الهبة الجماهيرية القادرة على تحريك الراكد من الحياة العامة للمجتمع، بعد ان استطاعت الانظمة السلطوية، التحكم بمفاتيح التحسب والتهيؤ والرصد لهذه الكتل البشرية، وكذلك بقدرتها على

افساد القيادات العليا والمؤثرة في هذه الاوساط، من التعامل معها، بأشكال مختلفة، يلعب المال والجاه، الدور الاساسي فيها[1].

فضلاً عن ذلك، فان هذه الانظمة المستبدة، نجحت في تقييد الحركة الجماهيرية، تحت دعاوي المخاطر الخارجية المحيطة ببلدانها وكان التركيز في المنطقة العربية مشدداً على المخاطر "الصهيونية"، وماتمثله من مشروع استيطاني يهدد الوجود العربي. فتحت هذه اللافتة، سنت وشرعت قوانين الطوارئ وصودرت الحريات، وأعطيت للديمقراطية اجازة مفتوحة، وزج بالرافضين في غياهب السجون وتم شراء ذمم البعض وتردت حالة المعيشة للناس، وجرى الانفاق التبذيري على التسليح، وعسكرة المجتمع، مما اتاح المجال لتبؤ قيادات مشوهة ورخيصة اعلى مقامات الدولة، بحجة الثقة والولاء[2]. ومع كل ذلك الهم والاغتصاب لكل مقومات الحياة في المجتمعات العربية، لم يتغير شيء على خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني، التي ظلت صامتة كصمت اهل القبور. وما جرى من انفاق هائل على التسليح، فقد استخدم للزينة والمراسم والسرقة للمتمكنين، ووجه السلاح لإخضاع المجتمع واسكاته، بل وترويضة، وليس لتغيير المعادلات الاستراتيجية التي جرى بموجبها انفاق ثروات الشعب ومصادرة حقه في الحياة الكريمة، ولعل في نماذج مصر وسوريا وليبيا واليمن، امثلة لا تحتاج لعدسة مكبرة لتبيان حقيقة ذلك الادعاء[3].

ومنذ سبعينيات القرن الماضي، وتحديداً بعد معركة ٦ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣، استطاعت الولايات المتحدة الامريكية، النفاذ بقوة في مجمل الاحداث التي يعيشها وطننا العربي، بعد ان سلمتها القيادات العربية، كل ما تملك من ارصدة القوة، بذريعة امتلاكها ٩٩ % من اوراق اللعبة في المنطقة، مما اتاح لها، ان تكون المهيمن والمتسلط والنافذ في اقرار المطلوب. والولايات المتحدة الامريكية، وحرصاً على مصداقيتها، لم تخف سياساتها الحقيقية في المنطقة،

---

[1] محمد حسنين هيكل – نهاية طرق : العربي التائه : ط ١ ، المصرية للنشر العربي والدولي ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤٩ .

[2] –نزيه نصيف الايوبي –تضخم الدولة العربية : السياسة والمجتمع في الشرق الاوسط –ترجمة امجد حسين –المنظمة العربية للترجمة – بيروت ٢٠١٠ – ص: ٩٤

[3] د. حميد حمد السعدون ، التنمية السياسية والتحديث ، ط ٢ ، مكتبة الذاكرة ، بغداد – بيروت ، ٢٠١١ ، ص ٨٨ .

حينما جعلت أمن "اسرائيل" أحد اولوياتها الاستراتيجية[1]، وهذا ما سمعه منها، جميع القادة العرب مباشرةً، وبلعوا السنتهم في ابراز الحق العربي الذي اغتصبه الصهاينة في فلسطين وبدعم امريكي.

وتدعيماً لهذه الارجحية في احتكار النفوذ في سياسة الولايات المتحدة الامريكية، دعمت كل انظمة التسلط العربية، وقوّت وصفحت كل الاجهزة القمعية، لأنها كانت تريد، ان تعمم مفهومين: **الأول**: ان لا حرب جديدة في المنطقة، بل من الضروري الاتجاه نحو السلام، **والثاني**: لا ثورة في المنطقة، انما المطلوب الاستقرار. وأريد بهذه الافكار، تطويع الناس وتدجينهم لصالح "السلام" الذي تحقق مع "اسرائيل" وفقاً لأشكال سياسية وتجارية، مارسته العديد من الانظمة العربية. ولذلك فكيفما استجابت عموم الانظمة المذكورة لمثل هذه الافكار وعملت عليها، حتى بدون الحاجة لوجود تمثيل رسمي متبادل مع "اسرائيل" فأن الولايات المتحدة، كانت جاهزة الى تصفيح هذه الانظمة وتقويتها، بما يحفظ أمن اسرائيل ويخدم مصالحها الكونية.

وسط هذه الاجواء الملغومة بالفقر وانعدام الحاجات، جاءت حادثة مدينة "سيدي ابو زيد" في تونس والتي اطلق شرارتها الشهيد "محمد البوعزيزي" نهاية كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠، لتفجر اعصاراً هائلاً، غير وسيغير جراء تداعياته وفقاً لحركة "الدومينو" كثيراً من اوجه السلطة القائمة في الوطن العربي.

ومن الانصاف ان نستعين هنا بوصف احد المحللين، حينما وصف ما جرى بأنه "تسونامي"[2]. حمل معه رياح التغيير وقلب المعادلات القائمة لصالح الاغلبية الصامتة والمهمشة والمقصية، عن كل امور السلطة ومسالكها. لذلك فما حصل في تونس، والأمر ينطبق على كل الانظمة العربية الاخرى، قلب تصورات سياسية وإستراتيجية، لأن تلك الانظمة، وبحجة الحفاظ على الاستقرار والأمن، اخذت الجميع نحو التمركز الدكتاتوري.

---

[1] – جورج قرم –العرب في القرن الحادي والعشرين من فراغ القوة الى قوة التغيير–دار الطليعة للطباعة –بيروت٢٠١١– ص:١٣٨

[2] – تسونامي : ظهر هذا المصطلح نهاية عام ٢٠٠٧ حينما ضرب الزلزال اندونيسيا ، وهو اشتقاق من كلمة يابانية ، تعني ، قاع المحيط حينما يثور بفعل جيولوجي ، ويتصف بالقوة والتدمير .

فضلا عن ذلك فأنه كلما طال امد البقاء في مقعد السلطة ومراكز القوة، كلما ضاقت حلقة المستشارين والخبراء، لتنتهي الى طائفة من البيروقراطين المحترفين والمتزلفين، الذين يجعلون من الاحادية المفرطة للحاكم في حكمه ووطنيته وذكائه وبعد نظرة، مسألة مبدأ لاتهاون فيه من خلال تزيينهم لافعاله وكأنها افكار ملهمة، في حين انها لاتعدو غير سلوكيات متزمتة وعدوانية من اجل الاستمرار بالسلطة.

والغريب، ان تلك الانظمة الدكتاتورية والمتسلطة، لم تطور نفسها، ولم تعرف التعامل مع الجديد من الافكار والسياسات وأنواع المعرفة، والأكيد، ان أي شيء لا يجيد التطور الذاتي يصدأ ويتآكل، بل يتهرأ ويتهاوى، في حين ان الشعب المهمش والمقصي، كان اكثر وعياً من انظمته المتسلطة، حينما التقط الجاذب والمفيد من جديد العالم، وتعامل معها بروح الزمان والتطلع للمستقبل، وهذا ما جعله أكثر تقدماً ووعياً عمن يحكمه، فانفجرت الانتفاضات الشعبية في اكثر من بلد عربي، بعد ان وصل صبر وتحمل الشعوب الى مداه الاصلي، فسقطت بعض الانظمة. وفي الطريق أكثر من نظام سيلاقي المصير ذاته، خاصة وان تلك الانظمة، لم تتعظ من تجارب من سبقها في كيفية التعامل مع الاحداث، جراء تمسكها النرجسي بالسلطة والتحكم.

فضلاً عن ذلك، فان متغيرات الحقائق في الفعل السياسي، هي الاساس في الفعل المطلوب انجازه لأية دولة في المشاكل الحاصلة، والتي تستوجب تدخل السياسة فيها. كما أن قيمة الحوادث تكمن في تأثيرها المتواقت المرافق لها زمنياً. كما ان طبائع الاشياء تعكس اجراءات المستقبل لأية جهة سياسية، وهذا ما تعامل معه المنتفضون ايجابياً، وصدت انظمة الاستبداد وجهها عن المباشرة فيه واستخلاص العبر[1].

من خلال هذا التصفيح وتمركز قوة القمع الذي تحصل عليه الانظمة، تتولد مجاميع تسعى لاستمرارها في السلطة، من خلال امتلاكها للقوة والنفوذ والقدرة، وهذا ما يوصلنا الى الحكم الدكتاتوري. فأنظمة– بن علي ومبارك والقذافي وعلي عبد الله صالح والاسد وآخرين– يفهمون منطق الأمن والتسلط بشكل جيد وبارع، وهذا ما عبروا عنه في ما مورس ضد الشعب

[1] د. عبد الاله بلقزيز ، السياسي والاجتماعي والثقافي في الثورة – مجلة شؤون عربية – القاهرة – العدد ١٤٦ – صيف ٢٠١١ – ص ٢٣ – ٢٤ .

في اليمن وليبيا وسوريا، وبطريقة انتقامية، وهو بالنتيجة متوافق مع منهج الولايات المتحدة في المنطقة. ولذلك دعمت بعضهم، وجاملت وتغابت عن سلوكيات الآخرين منهم رغم كونها سلوكيات عنيفة وانتقامية. فضلاً عن ذلك، ان هذه الانظمة تقّوت، ليس بمنطق السلطة القمعية لوحدها، بل أصبحت قوية من خلال الاجراءات القانونية والدستورية التي صممت على مقاسها، وهذا ما حصل في مصر وسوريا واليمن والجزائر، ولم تكن تلك الاجراءات مخفية، بل كانت علنية، ومن خلال مؤسسات النظام الرسمية، إلا اننا، لم نلمس أو نسمع عدم رضا امريكي على ما يحدث، لكون هذه الانظمة وبإجراءاتها تلك تخدم النهج الامريكي بأجماله، ولاتتقاطع مع اولوياته المركزية[1].

حينما يصفّح النظام، بكل اسباب القوة، وكذلك بالإجراءات (القانونية) و(الدستورية)، التي تمكنه من الاستمرار، فان ذلك يشكل مصدر قلق للحاكم والمحكوم. ولذلك، فأن الولايات المتحدة، تريد من هذه الانظمة، النجاح الدائم والتواصل معها ومع مخططاتها، وهي لا تقبل ان تتعاون مع انظمة آيلة للسقوط[2] . فهي حينما ايقنت ان انظمة– بن علي ومبارك والقذافي وعلي عبد الله صالح – ذاهبة جميعها مع الريح ، اعلنت موقفها الداعم للانتفاضة في هذه البلدان ، بل انها ساهمت في الجهد العسكري ضد بعضها ، مثلما حصل في ليبيا .

ان النموذج الرمزي الفاعل للتغيير، هو الملايين من الشباب الذين يدعون الى مجتمعات مفتوحة من أجل الحرية ، مع استعدادهم لتقديم ضريبة الدم ، ازاء تحقيق اهدافهم ، وهذا ما حصل في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا ، وهذا ما نسف الادعاء الكاذب الذي تروجه تلك الانظمة لنفسها بامتلاكها للشرعية والمقبولية من قبل الجميع ، كما ان ما حدث ، دليل وعي ويقظة للجماهير جراء حالتها المتردية ، ومشهد إدانة للتسلط والتحكم والانفراد [3].

---

[1] ناثان ج. براون – دساتير من ورق : الدساتير العربية والسلطة السياسية – ط ١ – ترجمة محمد نور فرحات – دار سطور الجديدة – القاهرة – ٢٠١٠ ، ص ٢١١ .

[2] – جورج قرم – مصدر سابق – ص: ١٥٦

[3] د. حميد حمد السعدون ، مصدر سابق ، ص ٩٧ .

ان ما حصل وسيحصل، من انتفاضات شعبية في الوطن العربي، بات ظاهرة جديرة بالتسجيل، حيث لم يكن حدوثه خاصاً، بل أتسع ليشمل غرب الوطن وشرقه، وان اختلفت اشكاله والتطورات الحاصلة فيه. لكن اساس الحقيقة في كل ما حصل، ظل واحداً، ويتلخص بعدم رضا الشعوب عن قياداتها السياسية. صحيح ان هناك دعماً سياسياً وإعلاميا خارجياً لبعضها، لكنها كانت كلها تهدف الى "اسقاط النظام". والأكيد ان النظام لا يعني مجرد حكام او حكومة او سياسات دولة، بل كان في اغلب الاحوال طريقة حياة، لم تعد مناسبة لأوضاع هذه الشعوب.

ما حصل لم يكن مقصوراً على بلد معين ، بل كان ثورة منطقة كاملة ، تقع على أهم مفارق الطرق الاستراتيجية وتحتوي على اكثر من ٦٥ % من الثروة النفطية ، شريان الحضارة الغربية الآن وفي المستقبل . وحتى من ظل ساكناً من الشعوب العربية للآن ، فأنه ينتظر اللحظة الثورية المناسبة للانتفاض . وما حدث هو صنع للمستقبل العربي الجديد ، الذي استطاعت الانظمة الاستبدادية ، ان توقف حركته وعقله منذ ان نالت البلدان العربية استقلالها الوطني من المستعمر الغربي . فما يحرك التاريخ ، هو القدرة ، لأنها الارادة المحركة ، والقدرة ، هي الفاعل الاساس في الحياة ، لأنها عقل التاريخ ، وهي قطعاً لا تركن للقوة لوحدها ، بل فيها اكثر من رافد ومعين ، كما ان بإمكانها ، التقاط مسارات وحركة التاريخ القادمة ، وهذا ما وعته جماهير المنتفضين وازدرته أنظمة الاستبداد

ثانيا : التعامل الامريكي مع الاحداث :

الأكيد أن تفسير السلوك الامريكي ، ازاء احداث المنطقة ، مرتبط بالمصالح الامريكية دائماً ، والتي يمكن ايجازها بـ :

١. حماية مصادر الطاقة وفي المقدمة منها– النفط – وتأمين تدفقها للأسواق الغربية .
٢. حفظ أمن "اسرائيل" وسلامتها .
٣. تأمين الوجود العسكري والسياسي في المنطقة بالأشكال المختلفة الموجودة فيه .
٤. ضمان القدرة الاستهلاكية الكبيرة للأسواق في المنطقة للمنتجات الامريكية .

٥. قوة الجذب النفسي لدى الادارة الامريكية ازاء القوة التي تمتلكها التي تدفعها ، بأنها لا يمكن ان تكون إلا ضمن القدرة على مسك العالم [١].

لكن مع اهمية تلك المصالح، فان الولايات المتحدة الامريكية، تشعر بالرضا والسعادة من الانتفاضات الحاصلة، طالما تجعل من الديمقراطية أولوية لها ، وهذا الأمر مرتبط بالإرث التاريخي لتأسيس الولايات المتحدة. لكن الأكيد، ان ذلك الرضا، سيتحول للحذر والشك والترقب اذا اتضح ان تلك الانتفاضات تحمل مشاريع ذات صبغة "اسلامية" بحته[٢]، رغم الاعلان الامريكي، بعدم حساسيتها وصدودهامن التعاون اذا تم ذلك من خلال الصندوق الانتخابي.

وعلى الرغم ان شكل الانتفاضات العربية التي حصلت ليس واحداً ومتطابقاً ، مثلما هي اوضاع البلدان العربية كونها غير متماثلة في كل شيء، رغم الكثير من المشتركات، فأن ذلك، يوقع الولايات المتحدة، في حيرة من شكل التعامل مع كل انتفاضة، بالقدر الذي يمنحها دوراً ونفوذاً، ويبعد عن النظام الذي سيظهر اية مضنة بالتبعية للولايات المتحدة. والمسألة ببساطة، هي انه كلما تنوعت الاحوال والأحداث في المنطقة العربية ، كان رد الفعل الامريكي، يحتاج الحالة نفسها من التنوع، خاصة وإننا نعرف، ان مسألة صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة، أمر معقد، وله اكثر من نافذة ذات توجهات مختلفة. ولذلك فأن النصائح المقدمة لها متنوعة ، والتي يجري تأمينها في الغالب من مراكز البحوث والتفكير "Think Tanks " مما يجعلها في كل الاحوال، غير متطابقة بالتوجهات، وان كانت باليقين الثابت، تضع مصالح وأسبقيات الولايات المتحدة، في المنطقة في المقدمة. وهذا يعني على وفق ماحصل، ان حسابات السياسة، لا تصبح معقدة وغيرمتطابقة بالكامل فحسب، بل تستلزم قليلاً من الحظ.

والولايات المتحدة، لا تقصر جهودها ودعمها للانتفاضات الحاصلة، بقدر ما هي مهتمه بنتائجها وما سوف تسفر عنه، فمعظم الانتفاضات، كانت طليعتها مجموعة من الناشطين

---

[١] د. حميد حمد السعدون ، فوضوية النظام العالمي الجديد– دار الطليعة العربية – عمان – ٢٠٠١ – ص ١٤ .

[٢] – عمر حمزاوي – خيارات العرب ومستقبلهم : الديمقراطية والاسلام السياسي والمقاومة – دار النهار للنشر ، مركز كارنيغي للشرق الاوسط– بيروت ٢٠١٠ –ص: ١٠٦

الجدد غالبيتهم من الشباب، أفصحت عن شعاراتها الاساسية، والتي قدمت من اجلها ضريبة دم ليست بالقليلة، تنادي ببناء ديمقراطية دائمة في بلدانهم، ورفض الطغيان والاستبداد والفساد، والعدالة، مع وجود حكومة تحترم المعايير الدولية لحقوق الانسان[1]. لكن علينا، ان نعي، أن هذه الانتفاضات، شاركت فيها قوى متعصبة وأصولية، اكتوت بنار السلطة القائمة وذاقت المر من سياساتها، لا تهتم بالديمقراطية، بقدر ما هي مهمتة بنظام خاص للحكم، ليس فيه من الديمقراطية ، كما تعرفها الولايات المتحدة الامريكية ودول الغرب الأوربي شيء[2].

وفي سياق ما اسلفنا يبقى السؤال الأهم عن تفصيلات مواقع التأثير الامريكي بشأن المتغيرات العارمة التي هيمنت على المشهد السياسي العربي باتجاه مفاصل التغيير الجذري الذي انهى وينهي الاستبداد السلطوي . والواقع ان الاجابة على هذا السؤال ينبغي ان تتحرر من بعض القناعات التي تقول أن الادارة الامريكية لا تريد التورط بما يجري ، لأن ما جرى لها في افغانستان والعراق قد اعطاها الدرس اللازم لهذا التأني ، الذي يطبع الآن السياسة الامريكية وإنها تسعى الى منهج جديد في السياسة الخارجية الامريكية استناداً على تصورات جديدة امتداداً على ما يراهن عليه الرئيس الامريكي (باراك اوباما) والذي سبق ان اعلنه ضمن خطابين الاول في جامعة القاهرة عندما زار مصر والثاني في تركيا في عام ٢٠١٠ . اقول علينا التحرر من فكرة التأني المشار اليها والإشارة الى ان الموقف الامريكي ازاء ما يجري الآن في الوطن العربي يقوم على عدد من الرهانات في التعامل مع الاحداث العربية الجارية من منطلق الفكرة التي تقول ادفع اصدقاءك الى المقدمة في سياستك الخارجية وأعطي الموقف المزيد من المستلزمات الدولية وكأنك تساير المجموعة الدولية في خططها ومسعاها التي تريد تطبيقها .

وهذا ما كان واضحاً في الموقف الامريكي بطريقة التعامل مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم (١٩٧٣) الخاص بحماية المدنيين في ليبيا ازاء الاحداث التي انزلقت لحد الحرب الاهلية، حيث دفع الأمريكيون الفرنسيين الى الواجهة في ذلك مستفيدين من طموح الرئيس الفرنسي

---

[1] – ماجد الزيود– الشباب والقيم في عالم متغير –دار الشروق للنشر والتوزيع – القاهرة ٢٠١١– ص: ٨٣

[2] مأخوذة من كتاب : جين بيرفلو والمعنون : The Arab Revolution والذي عرضت محتوياته صحيفة (Dealiy Tlagraf) اللندنية في ٢٠١١/٨/٢٦ .

(نيكولا ساركوزي) في ان يكون شخصية دولية مؤثرة قادرة على الالتزام والفعل . والواقع ان الامريكيين كانوا أول المستفيدين من ذلك الاجماع الدولي لانها اشعرت الجميع بضرورة وجودها معهم ، وبذلك ربحت الموقف من زاوية ان أي عمل دولي لا تكون هي قائدته يتعرض للخسارة، وهكذا تجير ذلك لصالح قوة القطب المهيمن ولو الى حين[1].

النقطة الاخرى الجديرة بالاهتمام ايضاً ان ادارة الحزب الديمقراطي الامريكي هي الآن في اطار سباق تنافسي حاد مع الحزب الجمهوري بشأن الوضع الداخلي الاقتصادي المتهالك وسط تحذيرات صدرت عن الرئيس اوباما من ان الاقتصاد الامريكي قد يدخل في مرحلة ركود جديدة اذا تعرضت الاصلاحات التي ينفذها لأية معارضة داخل الكونغرس من قبل الجمهوريين ، وهكذا ليس مصادفة ان يزور السيناتور (جون مكين) الذي واجه الرئيس اوباما في الانتخابات الرئاسية السابقة مدينة بنغازي ويلتقي بعدد من اعضاء المجلس الوطني الانتقالي الليبي . كما ان الاعلان عن مقتل (اسامة بن لادن)زعيم منظمة (القاعدة) في هذا الوقت تحديدا ، يدخل كقوة جذب للسياسات الرئاسية في سعيها لاعادة انتخاب الرئيس مرة ثانية ، مع الحفاظ على زخم الدعم لتحقيق انجاز الاصلاحات الاقتصادية الداخلية التي يحتاجها الاقتصاد الامريكي .

ولعل من المفيد على صعيد التحليل ان نشير ايضاً الى ان موقف الادارة الامريكية ازاء المتغيرات والأحداث الساخنة الجارية في الوطن العربي، ان واشنطن تخشى من ردود فعل عربية شعبية اكثر اتساعاً ضدها اذا طرحت نفسها رائدة في دعم التغيير السياسي، وفي اطار المحاججة لماذا لا تفعل ذلك بالنسبة للصراع الاسرائيلي الفلسطيني، أي لماذا تنطفئ حماستها بالنسبة لحقوق الفلسطينيين في حين تطرح نفسها رائدة لدعم حقوق التغيير السياسي العام في الدول العربية ، ثم ان التدخل الامريكي المباشر وعلى وفق الضغوط التي اعتمدها المحافظون الجدد ضمن طاقم

[1] **– Internaional crisis Group (ICG)–popular protests in North Africa and the Middle East (IV): Tunisia way –Middle East– North Africa Report No: 106 – April 2011 –P: 27**

الرئيس السابق جورج بوش الابن أثار العديد من مشاعر الغضب العالمي ضد الولايات المتحدة الامريكية [١].

نحن اذاً ازاء مااصطلح عليه عدد من المحللين السياسيين بالقوة الامريكية الناعمة ، ولكن نعومتها لا تعني اللين بأي حال من الاحوال فهذا المنهج اقل اثارة ولكنه أشد بأسا ، ومن هنا لا يستقيم منطق التغيير الديمقراطي في الوطن العربي إلا اذا تعامل بالمزيد من الحذر مع الاجندة الامريكية لأن ذلك الحذر المشروع ،في شكل الاولويات لصالح الطرفين _ العربي والامريكي _

ان الانتفاضات وحركات الاحتجاج التي اشتعلت في المنطقة العربية ستدفع الولايات المتحدة الامريكية الى محاكاة المنطقة بنظرة جديدة تتبنى تطلعات الشعوب الى التغيير والحريات ، بديلاً عن دعم انظمة متسلطة أو غض الطرف عنها لحفظ المصالح . لاسيما ونحن امام انهيار نظام قديم شاع في المنطقة العربية لعقود طويلة ، مما يستوجب النظرة بتأني امام بلورة النظام الجديد الذي يستغرق انشاؤه سنوات ، والذي لن يتوقف عند حدود معينة [٢].

كما ان الشباب العربي ، الذي نزل الى الشوارع ، مقدماً ضريبة الدم بدون تردد ، فرض على الدبلوماسيات الغربية ، وفي المقدمة منها الدبلوماسية الامريكية عدم اعتبار الانظمة القائمة قدراً نهائياً وعدم اعطاء الاولوية الى المصالح النفعية ، بل الاستماع الى الشعوب ، والنظرة الى تطلعاتها ومستقبل اجيالها بنظرة واقعية جديدة [٣].

ان الهاجس المقلق للولايات المتحدة الامريكية في علاقاتها مع الدول العربية ،كان الاستقرار ، لاسيما بعد احداث ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، وبروز خطر الارهاب ، الذي اعطى صدقيه للمخاوف الغربية ، خاصة بعد نجاح الانظمة العربية بإقناع الغرب بشكل عام ، بان " التطرف الاسلامي " هو البديل الجاهز لاستلام السلطة ، في حالة سقوطها . لكن تبين ان ذلك الادعاء غير صحيح ، ولعل في نموذجي مصر وتونس ، الدليل الواضح .

---

[١] بشير عبد الفتاح – أمريكا والربيع العربي – مجلة شؤون عربية – مصر سابق – ص ٥٦-٥٩ .

[٢] جميل مطر–الثورة المصرية الخلفيات والبدايات–مجلة المستقبل العربي–بيروت–العدد ٣٨٥– مارس ٢٠١١ – ص ٨٤ .

[٣] عبد الحسين شعبان – تونس – مصر أسئلة ما بعد الانتفاضة – مجلة المستقبل العربي – مصدر سابق – ص ٩٠-٩٢ .

لقد دخل الاسلاميون الانتفاضات بعد انطلاقها ، لكنها ليست انتفاضتهم ، لا تنظيماً ولا شعاراتً ، وهم مدركون لذلك . على الرغم من ان الاسلاميين ، سيطروا خلال السنوات الثلاثين الاخيرة على الوعي العام بشعاراتهم الدينية . لكن اتضح ان الشعب يريد اموراً اخرى : يريد الحرية والحداثة ، يريد التنوع والديمقراطية ، وهي شعارات ومضامين ، تتقاطع مع السائد من الخطاب السياسي والإعلامي ، لعموم الحركات الاسلامية ، التي بقيت اسيرة ذاتها ومنهجيتها التي الفتها طوال مسيرتها السياسية والتي تجاوزها الزمن والناس بحركتهم ووعيهم .

ان الانتفاضات التي تعم الوطن العربي ، تحرك الشارع المحبط والمهمش ، والساعي الى الحقوق ، بدفع من جمهرة واسعة من الشباب ، المنفتحين على التقنيات الحديثة والرافضين للفساد والمطالبين بفرص عمل، وبالحريات. ما حصل ولامتلاكه الكتلة البشرية الاوسع من الشعب، احدث مفاجأة قوية على مستوى الحكومات الغربية، وفي مقدمتها الادارة الامريكية، التي كانت تنظر الى الوطن العربي من خلال عدستين: مكافحة التطرف الاسلامي ومكافحة الهجرة غير الشرعية . وهذا ما حجب الرؤية الدقيقة عن الحكومات الغربية بشكل عام، حيث لم يتلمسوا التغيير الحاصل في المجتمعات العربية، لاسيما بين فئة الشباب[1].

وإذا كانت عواصم الغرب ، استدركت ارباك الاسابيع الاولى واتخذت مواقف اكثر حزماً لجهة رفض العنف والمطالبة للاستماع الى رأي الشعب ، فأن علاقاتها مع الديمقراطيات الناشئة في مرحلة ما بعد نجاح الانتفاضات غير واضحة . ولذلك فعلى الغرب ان يقبل حقيقة ، ان هذه المساحة الجغرافية الممتدة من بغداد حتى الرباط ، قد تغيرت بشكل كبير ، وان محادثيه التقليديين الذين الفوهم ، لم يعودوا مقبولين ومحترمين في مجتمعاتهم ، ولذلك لابد من اجراء حوار معمق مع محادثين جدد ، ومع عموم المجتمع المدني ، من اجل اعادة الثقة المفقودة والمرتبكة بين الطرفين ، وتحقيق تبادل متوازن مع شركاء حقيقيين .

ان اتساع الانتفاضات وزخمها المتصاعد ، أوضح ان الشعب اوسع بكثير من التيار الاسلامي الذي كانت تضعه الانظمة المستبدة ، كفزاعة خوف امام الولايات المتحدة ، كبديل عنها . صحيح انه أكبر تيار منظم واكبر كتلة منفردة في المرحلة الحالية ، ويجد له مكاناً دون شك

[1] – ماجد الزيود – مصدر سابق – ص: ١٠٩

في أي انتخابات ديمقراطية مقبلة. لكن الاكيد الذي يمكن تلمسه بجلاء، ان هذه الانتفاضات أفول لمرحلة الاحتكار لاي حزب سياسي او طبقة او عائلة معينة، بعد ان اتضح تخلف جميع الاحزاب والحركات السياسية في التماثل، الذي حققته الكتلة الشعبية للمجتمع، والتي فرضت التغيير بتضحياتها [1].

من الضروري ان تتعاطَى الولايات المتحدة الامريكية ، في المرحلة المقبلة ، مع الشعب العربي ودوله ، على قاعدة المساواة والعدالة ، لاسيما في ما يتعلق بالصراع العربي – الصهيوني . حيث ثبت ان كل هذه الانتفاضات غير ايدلوجية او حزبية ، بل تسعى الى الكرامة كما الى الحرية والخبز والعدالة الاجتماعية . كما ان مدى صلابة التحولات يكمن ايضا ، في انتاج مشهد اقليمي جديد اكثر استقراراً وعدالةً ، ومن ضمنه اقامة الدولة الفلسطينية القابلة للحياة ، لأن ذلك سينزع الكثير من الصواعق المستقبلية حيال هذه المنطقة المتفجرة وواسعة الثراء .

مثل ذلك، يحيلنا الى تفحص الظروف المقبلة، ومدى انجاح او فشل تلك الانتفاضات. لأن "ربيع الديمقراطية" في الوطن العربي ، كما يحلو للبعض ان يسميه، منذر باتجاهات تبدو احياناً غير محسوبة او واضحة ، وهو في كل الاحوال ، غارق في الشك وغياب اليقين ، وهذا ما يدفع المنطقة العربية ، ان تلج مرحلة من الدوار ، وربما الفوضى . وحصول ذلك ، يدفع الولايات المتحدة ان تظل متمسكة بخياراتها الاساسية في المنطقة سواءً كانت الانظمة الجديدة ، ديمقراطية ام دكتاتورية بشكل مستحدث .

ثالثا: طبيعة النظام السياسي العربي :

ان الاحداث التي حصلت في – تونس ومصر واليمن وعمان والبحرين وليبيا وسوريا – والمرشح حصولها في اكثر من بلد عربي ، كشفت لنا من خلال رصد ما حصل وردود الفعل الامريكية عليها جملة من الحقائق ، مطلوب ان نجعلها مشهداً امامياً للترقب والاستنتاج وقياس المدى الذي تتواصل به الاحداث . وهذه الحقائق هي :

---

[1] **ابراهيم البدوي وسمير المقدسي – تفسير العجز الديمقراطي في الوطن العربي – مجلة المستقبل العربي – بيروت – العدد ٣٨٤ – شباط – فبراير ٢٠١١ – ص ٨٩-٩١ .**

١. تفكك النظام الرسمي العربي وانعزاله ، بل قربه من الانهيار، رغم سعيه للحصول على دعم وإسناد الولايات المتحدة له لغرض المواصلة. مع التأكيد ان الامريكان يعرفون هذا الضعف ويقدرون مداه، وعلى اساسه يتحقق مدى التعامل الامريكي مع هذه الانظمة .

٢. ان جميع الانظمة العربية ، قريبة بأكثر مما يجب من الولايات المتحدة الامريكية . بل ان بعضها ذات صلة حميمة مع الامريكان وبطريقة استفزازية ، رغم كل الإهانات والعجرفة التي تعرضت لها من قبل الاصدقاء " الامريكان " .

٣. بات من الواضح ان الولايات المتحدة وفقاً لمفهومها الاستراتيجي ، لا تخشى من اي خطر في المنطقة ، سوى الجماعات " الارهابية " وما تبقى من شظايا الصراع العربي – الصهيوني . وبدا مفهوما لها ، ان لغة الخطاب الاعلامي لبعض الانظمة العربية " المتشددة " ما هو الا لشأن داخلي ، يهدف دغدغة عواطف الجمهور .

٤. ان العدو الرئيس في المنطقة في الوقت الحاضر ، هو " ايران " التي ستتعامل معها الولايات المتحدة ودول الغرب الاوربي ، من خلال تصفية وضعها بالرضوخ للتعاون وبلا قيود ، بعد حل القضية الفلسطينية ، سواء في موضوع ملفها النووي ، أو قصقصة اجنحتها الخارجية ، مع ضرورة تفجير الاوضاع الداخلية ، تحت مسميات الديمقراطية وحقوق الانسان و .... الخ .

٥. اتضاح كون " اسرائيل " بأنها القوة الفاعلة والرئيسة والمتنفذة في المنطقة ، وموضع الثقة الامريكية الأول ، فهي من يرتب ويضع جدول اعمال المنطقة ، وكل ما يحدث متروك لقبولها من عدمه .

٦. اعلاء دور المؤسسات الامنية العربية ، على دور الجيوش ، مع قدرتها وتأثيرها على صنع القرار السياسي ، لعموم الانظمة العربية . والسبب كما نعتقد ، يعزو لتراجع مفهوم الأمن القومي ، لصالح مفهوم أمن الانظمة واشخاصها .

٧. عدم المراهنة على استمرارية الكثير من الانظمة ، بعد اتضاح ضعفها واستبدادها وقصورها عن امكانية تطوير نفسها ، مع ما يرافق ذلك من خضوع وتذلل هذه الانظمة ، امام اية رغبة امريكية حتى وان كان فيها مس في مفهوم السيادة الوطنية .

ان الزلزال الهائل الذي فجره الشهيد " محمد البوعزيزي " في تونس وامتدت ارداداته في أغلب مناطق ودول الوطن العربي ، ليؤكد باليقين الواضح ، فشل انظمة الاستبداد امام اختبار الزمن ، جراء الهبة الشعبية التي كشفت حقيقة هذه الانظمة المستبدة والفاسدة . كما ان ما حصل قدم جملة من المشاهد والدلالات ، التي تؤشر طبيعة الانظمة المذكورة ، وشكل علاقاتها مع مجتمعاتها ، وما آلت اليه الاوضاع في هذا البلد او ذاك . وتلك الدلالات ، تكاد ان تكون متطابقة عند جميع الانظمة العربية . ومن أهم الالتقاطات التي نؤشرها :

١. لقد صار واضحاً، انه في كل بلد عربي ، توجد اسرة حاكمة ومتحكمة ومهيمنة على كل شيء، من خلال العائلة وأقاربها وأصهارها ، بحيث تحولت الى مجموعة قوة ، لها حضورها في صياغة وصنع القرار السياسي . وما امثلة الاسر الحاكمة في الانظمة الجمهورية في – تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا – وفي الانظمة الملكية ، كما في – البحرين وعمان – الا دلائل على ذلك النفوذ وتلك الهيمنة .
٢. ان جميع الانظمة العربية " الجمهورية " تهدف لسلوك مبدأ التوريث في السلطة ، وبما يتسق وطبيعة الفعل السياسي الحاكم. وقد كانت البداية في سوريا عام ٢٠٠٠ ، وكان على الطريق تمهيدات ورؤى وسياسات لغرض استنساخها في مصر وليبيا واليمن، الا ان انفجار الاوضاع ، عطل تلك الرغبة عند الحاكمين .
٣. ان حيوية الثراء وفائض الانتاج لمجمل النشاط الاقتصادي للدولة ، يؤول في النهاية للمجموعة المتحكمة ، اي مجموعة القوة ، كونها"اوليغارشية " واضحة . بل ان وثائق ويكيليكس سمّت هذه المجاميع بوصفها " مافيات". واستذكار التجارب التي سقطت بالهبة الشعبية ، او التي ستسقط ، يكشف الطريق واضحاً ، لتأشير تلك المجاميع او المافيات ، ومدى ماتملكه من نفوذ سياسي واقتصادي .
٤. ان الاحداث ، اشرت بدقة ، المستوى المعاشي والخرافي الذي تعيشه مجاميع " المافيات " على حساب الاكثرية الفقيرة والمعدمة ، فضلاً عن أبهة مبالغ فيها ، على حساب المال العام ، لأن من يتحكم ويقرر وينفذ ، منخلع بالكامل عن ما يحيط به . ولعل

ما تكشف للآن، من الثراء الفاحش الذي تحقق بالنفوذ والسلطة والسرقة للقيادات التي سقطت وازلامها، أمر خرافي ومهول، بل يكاد ان يكون مشهدا عبثيا وموحشا .

٥. بسبب التفاوت بين الغنى الفاحش والفقر المدقع ، فأن الاوضاع في جميع الانظمة العربية لا يمكن مسكها ، وشرذمت مكامن القوة فيها ، الا من خلال وجود اجهزة امنية فعالة ، بل ومتوحشة . ولعل ما حدث في – تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن – من قتل اجمالي وبلا حدود وبطريقة انتقامية وموجهة ، يكشف حقيقة تلك الاجهزة وقسوتها ضد مواطنيها .

٦. وتحوطاً من حصول ثغرات في البناء الامني للأنظمة ، وخشيةً من عدم قدرة اجهزة الأمن على ضبط الاوضاع ، لذلك ، فأن الانظمة ، ادخلت المال والعطايا والقبول والتوكيلات والنفوذ الخلفي في التوظيف السياسي ، ازاء من يخشى منهم لضبط ما يمكن ضبطه ، سواءً كان ذلك بوجه سياسي ام شعبي. وهذا ما حدث في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن، وبطريقة صارخة احياناً، واستفزازية في احيان اكثر.

٧. ان صبر الاغلبية الصامتة، ازاء فساد واستبداد هذه الانظمة، قد وصل مداه الاقصى بعد اتضاح عدم قدرتها على قيادة الناس والدفاع عنهم، بل الانتقام منهم لرفضهم شراهة السلطة المطلقة جراء ماتقدمه، من اغراءات لاتحد، الأمر الذي يولد حراكاً اجتماعياً عنيفاً، بل واحياناً منفلتاً، قد يؤثر بشكل ما، على موضوعة السلم الاهلي للمجتمع.

٨. تلاشي وغياب فكرة "الدولة" عند جميع الانظمة العربية ، لافتقارها للشرعية الجماهيرية او الدستورية، مما اتاح للأسر الحاكمة ، أن تطبق قانونها الخاص ، على حساب قانون الدولة ، الامر الذي يمكنها من سلب ومصادرة جميع خيرات البلد ، على حساب افقار الاغلبية .

٩. توقف السلطة في الانظمة الاستبدادية عن امتلاك الحس الوطني ، في اقتحام الاحداث نحو افق مستقبلي ، وركونها نحو تسيير الامور ، وفقاً لروتين وبيروقراطية اجهزة الدولة ، دون التطلع لتحقيق نتائج تشكل انتقالة نوعية للبلد .

١٠. اعلاء أمن الحاكم الشخصي، على حساب امن البلاد القومي. بل ان بعض الانظمة، ربطت مصير بلدها، بوجودها، وهذا ما حصل في ليبيا واليمن وسوريا، وكأنها بذلك تستعير قول الامبراطور الفرنسي– لويس الرابع عشر – " أنا الدولة والدولة أنا". ومثل ذلك، اضعاف لمكونات الدولة، ان كانت هناك دولة اصلاً.

رابعا: مغذيات النجاح:

لقد اسهمت ثلاثة عوامل رئيسة في نجاح هذه الانتفاضات المتعددة، التي نجحت بعضها، في حين مازالت الآخر، تكافح بإصرار على إحداث التغيير، امام سلطة مازالت متمسكة بمواقفها السرمدية. وهذه العوامل هي :

١. تزايد العنف الذي تمارسه، سلطات عموم البلدان العربية ضد شعوبها، مع ما يرافق ذلك من اشكال التمييز الرسمي والشعبي ضد البعض، أو ضد الاقليات[١]. بل ان البعض من اشكال العنف، انزلق الى مستوى الحرب الاهلية او الابادة الجماعية، مثلما حصل ويحصل في ليبيا وسوريا، وهذه امور يتفق على رفضها وإدانتها عموم المجتمع الدولي.

٢. تزايد الدعوة الى الاقتداء بالنموذج الذي يمثله التزايد الكبير في عدد المنظمات غير الحكومية المعنية بالدفاع عن حقوق الانسان وإشاعة الديمقراطية والانحياز للفقراء والأقليات، ممن لا تعوقهم حدود البلدان التقليدية، او نظم التوزيع، أو حتى البروتوكولات السياسية[٢]. وقد حظيت تلك المنظمات بدعم الولايات المتحدة الامريكية وعموم الدول الغربية، من خلال تمكنها، من التفاعل والتأثير في الاحداث الجارية في عموم العالم.

٣. التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصالات ووسائل الاتصال المباشرة والزهيدة، مثل الانترنيت والفيس بوك والتويتر والهواتف المحمولة وأنظمة الاتصال الرقمية، مما قرب

---

[1] **Jams Zogby – Arab Voices : What they Are saying to USA and why it Matters – New York – palgrave Macmillan – 2010 – p. 126 .**

[٢] **بسمة عبد العزيز – اغراء السلطة المطلقة – صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات – القاهرة – ٢٠١١ – ص ٨٦ .**

المسافات بين المجتمعات العالمية[1]، وجعل من الاحداث الجارية، مادة دسمة لوسائل الاعلام التي اعطتها ارجحية في شكل التغطية وما يجري فيها وما حولها، بحيث ساعد المحتجين في ايصال صورة كفاحهم ضد سلطاتهم المستبدة الى عموم الناس، من خلال خدمة التقنيات الحديثة، التي اخترقت الحدود القومية وتحسبات الأمن المقيدة لأي نشاط، بل اننا نذهب أبعد من ذلك حينما نؤكد أن الثورة الالكترونية ساعدت في تمكين المحتجين من التواصل بحرية مع المتعاطفين معهم في مختلف انحاء العالم. وصار الاعلام الرقمي اكثر من سلطة وضاغط على سياسات الاستبداد[2].

ان ازمة انظمة الاستبداد العربية ، تكمن في تمسكها بالسلطة، وبرؤيا احادية، تمنع الاخرين من المشاركة وتحيز لنفسها استخدام كل وسائل القمع ومؤسساته ضد معارضيها ومن لهم رأي آخر. كما ان الاجراءات الترقيعية لامتصاص نقمة الشارع، لم تعد خافية أو نافعة لأنظمة الاستبداد، بل المطلوب احداث تغيير نوعي، يتجاوب ومطالب الشعب وحقوقه ، وفي المقدمة من ذلك، احترام حقوق الانسان والاتجاه نحو المسار الديمقراطي.

لقد انكسر حاجز الخوف الذي كانت تشيعه وتديره الانظمة العربية ضد شعوبها، التي تجاسرت على السائد الممل والنمطي من حياتها، وانكسر ضم السلطة، ولم يعد بالإمكان لملمة شظاياه التي تناثرت في كل مكان. وما حدث شاهد على الجسارة الشعبية التي استسهلت التضحيات من اجل الكرامة والعدل والعيش الكريم. بل انه حتى المظاهرات المليونية، هي مشاهد غير مألوفة في الشارع العربي منذ فترة تزيد عن اربعة عقود، بعد ان استطاعت انظمة الاستبداد، ان تحبس المتظاهرين ضدها، وهم من القلة القليلة، في اسوار وحواجز لا تمكنها من الانسياح في الشارع السياسي. لذلك فالمظاهرات، رغم الخسائر التي لحقت بجماهيرها ، مكنّت المحتجين من تطوير وتصعيد مطالبهم والتمسك بها .

---

[1] علي حرب – ثورة القوة الناعمة في العالم العربي : نحو تفكيك الدكتاتوريات والأصوليات – الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت – ٢٠١١ – ص ٧٢ ،

[2] –فاضل محمد البدراني – الاعلام .. صناعة العقول – منتدى المعارف – بيروت ٢٠١١ –ص: ١١٧

ان آليات التغيير في المنطقة العربية، تختلف من بلد لآخر، وهذا عائد للثقافة المجتمعية السائدة ، وسلوك وتاريخ الاجهزة القادرة على الفعل المؤثر، سواءً للنظام القائم أو لمطالب الشعب. ويقف في مقدمة تلك الاجهزة ، مؤسسة الجيش[١]. ولعلنا، رأينا دوره في تونس ومصر، يختلف عن دوره في اليمن وليبيا وسوريا ، وهذه أحد المعضلات التي قد تدفع بالبلد نحو سلوك طريق العنف المتبادل بين الاطراف، بما يهدد السلم الاهلي للمجتمع.

ان الحدث وقيمته، تكمن في طريقة التعامل معه في زمنه، مع ما يشعه من تأثير موقعي على الانسان ومستقبله، لأن دواعي العمل الوطني، يستوجب الترفع عن الكبرياء والرأي الشخصي، مادام الأمر يصب في خدمة الشأن العام. كما ان ايقاع الحوادث، يستوجب رجالاً قادرين على التماهي معها، وبالشكل الذي يحقق الاهداف الوطنية. أي ان لكل مرحلة رجالها، مع التأكيد، بأن التمسك بالسلطة، بقدر ما هو مضر بالوطن، فهو مضر بسمعة الساعي اليها[٢].

لقد ادعت الكثير من انظمة الاستبداد ، على ان الفاعل والدور الخارجي، لعب الدور البارز في حصول هذه الانتفاضات. وإجابتنا تتلخص بالآتي: أنه بات في ادراك الجميع الآن، ان القوى الكبرى لا تقف الى جانب الانظمة المحاصرة والضعيفة، مما يؤكد على اهمية العامل الداخلي. فالنظام الراسخ والقادر على معالجة ازماته، قادر على تحدي وإفشال التدخلات الخارجية. كما انه لم يعد ممكناً، تجاهل المعارضة والتضييق عليها وإرسال جمهورها الى السجون، لأن خطاب المعارضة، ازاء العنف الموجه ضدها، يتحول مع الوقت، ومن خلال وسائل الاعلام والتواصل المفتوحة، الى معلومات عامة، مما يجعل من بؤر التوتر والثورات الغاما، جاهزة للانفجار في اوقات غير محسوبة. اما العامل الخارجي، فمهما كان حقيقياً ومؤثرا وقادرا على الدعم والاسناد والتأثير ، فأنه لا ينجح في تربة وطنية محصنة.

وفي هذه اللحظة الفاصلة من تاريخ الشعب العربي، فمن الصعب التنبؤ بما قد ينجم عن هذه التغييرات، فضلاً عن صعوبة مسك وتفكيك تأثيراتها المستقبلية. لكن الاكيد في هذا، أن أي حدث في اي موقع من العالم، سوف يهتم ويؤثر فيه القطب المهيمن— الولايات المتحدة

[1]**International crisis Group (ICG)–, Op.Cit, p 29.**

[٢] **–د. حميد حمد السعدون – التنمية ...– مصدر سابق – ص: ١١٤**

الامريكية—وستكون مسارات "الفوضى الخلاقة" دلائل العمل لذلك الدور، الذي بات صناعة امريكية بامتياز [1].

ولعلي أشاطر الصوفي الكبير "محمد بن عبد العزيز النفري" حينما يقول: "أني احدثك لترى، فأن رأيت فلا حديث". فالنظام الرسمي العربي، في تصديه لكل معارض له، مارس اساليب مختلفة: دينية، سياسية، امنية، أدت في النهاية، الى خوفه من مجتمعاته لعدم قدرته على فرز القوى التي يمكن اعتمادها في التصدي لـ"قدرية" الحلول الغيبية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ومثلما حصنت هذه الانظمة نفسها، بسور صيني عن شعوبها ومجتمعاتها، فأنها فشلت ان تفعل شيئاً في الاختراق الحاصل في بنيانها الامني والسياسي، لاسيما امام ضغط الشارع الشعبي، مما جعلها تتلقى الصدمات القاتلة، التي أوضحت استنفاد صلاحيتها على البقاء.

ان المنطقة تمر بمرحلة انتقال مهمة وخطيرة، وهي بالوقت نفسه، مرهقة، بل منهكة. والمواقف مفتوحة لمدياتها اللامعقولة. لذلك لا يفاجئني حدوث مفاجآت هائلة، قد تتغير من جرائها حتى الخرائط الجغرافية التي نعرفها. لأن تدافع الاحداث في أزمة معينة وفي وقت معين، على اقليم جغرافي معلوم، له اكثر من دلالة في كل انشطة الناس، وكذلك في مستقبل اقاليمهم، وهذا ما علينا ان نفهمه ونعي مدلولاته، جراء الحوادث الجارية في الوطن العربي ، التي ستنفجر من خلالها اكثر من مفاجأة غير محسوبة....

الخاتمة :

منذ ان ولجت البلدان العربية، عتبات العصر الحديث، بعد ان خلعت عنها رداء الاستعمار المباشر، وبعد تضحيات كبيرة، مادية وانسانية، وهي تسعى جاهدة ان تكون احد المساهمين والمشاركين في توسيع أطر الحداثة والعصرنة في حياة شعوبها، وبما يمكّنها من ان تكون احد ادوات الفعل الرئيسة في تحقيق اشكال التقدم والرفاهية. ومع كل هذه الحماسة والعفوية التي اتسمت بها ايام الاستقلال الاولى، فقد بات من الملاحظ تباطؤ الخطوات مع كل يوم يمر تتمكن فيه السلطة من التمركز، ويتمكن فيه المستعمر من العودة لقواعده القديمة، باشكال وانماط جديدة، تتميز بالدهاء والسلاسة، مع قبول ورضا من قبل السلطة "الوطنية".

[1] – فنسان الغريب – مأزق الامبراطورية الامريكية –مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٨– ص:١٢٦

ولذلك ، فأن السلطة الوطنية التي قامت بعد الاستقلال، الزمت نفسها بوعود اكبر من طاقتها، مأخوذةً في ذلك بحماس طبع قادتها وشعوبها في تحقيق طفرات نوعية وكمية على كل المستويات، لكن هذه القيادات بعد مسكها للسلطة، وجدت نفسها عاجزة عن تسيير دفة أمور الدولة، دون الاستعانة بمستعمرها السابق ازاء نقص الامكانات والموارد وقلة التجربة، والاهم ازدياد عدد الطامحين والطامعين لتبوأ السلطة، الامر الذي هيأ من مستلزمات التفاهم والتحاور، ومن ثم القبول، بكل الطروحات التي تتوافق مع مايرغب به المستعمر القديم، بثوبه الجديد الذي جرى تسويقه تحت شعارات براقة ومبهرة، وهذا ماحصل، حيث باتت عودته مرحباً بها ومقبولة، بل ومدفوعة الثمن، لأن ذلك ماتحتاجه "الشرعية الدولية" في تنظيم وترتيب المسرح الدولي ، بعيداً عن كل مظاهر العنف والتوتر.

وعلى الرغم من كل الهزائم والانكسارات، فأن العالم ليس مقفلاً في وجه الجميع، وشرط ذلك، ان لا نقفل باب الفكر والوعي، او نغيبهما بشكل متعمد، فالجمود قاتل، وليس باستطاعة احد مقاومة رياح التغيير في ظل ثورة الاتصالات والمواصلات والثورة العلمية المتقدمة، التي بامكانها تخطي الحدود القومية للدول. وحينها يمكن سماع الاجابات الصحيحة للعديد من الاسئلة المعلقة، والتي يستحيل اختصارها في بضعة مقولات أو اجوبة جاهزة.

صحيح القول ان دول الغرب الاورو– امريكي، نجحوا في التهام الانظمة المطواعة والمسخرة لخدمة مخططاتهم، لكنهم يتطلعون الان لالتهام الشعوب، من خلال خلق الفتن الداخلية ودفع الشعوب للسباحة بدماء أبنائها، تحت لافتات مذهبية وطائفية وعنصرية. أنهم يريدون لا طحن الشعوب العربية واستنزاف مواردها، بل يسعون لالغائها من خارطة الوجود الانساني يعينهم في ذلك من وجدوا في مواقع السلطة والنفوذ حالة سرمدية دائمة مستخدمين كل الأعذار التبريرية لادامة حكمهم الأوتوقراطي وما يصحبه من انتهاك لحقوق الناس وحياتهم.

Winds of Change in the Arab World and the Places of U.S. Influence

Assistant professor:
Hameed Hamed Al– Sa'adoon

Abstract

This research deals with the profound changes that are witnessed by many Arab countries, starting in 2010 and so far. These changes which are in the midst of a continuous cycle have taken different forms, some take the form of peace and the other are mostly through violence.

The research stands at the winds of change that swept over the region due to calcification of their own political tyranny, selfishness, and exclusion. It also addresses the reasons that led to this, and the nature of those regimes that failed in continuity and renewal.